رؤية التقريب والتعايش المذهبي عند السيد السيستاني

المدرس الدكتور فاضل جواد حميد الهلالي
Fadelj. alhelaly@uokfa.edu.iq
جامعة الكوفة - كلية العلوم السياسية

Avision of rappreochement and doetrinal coexistence according to Al- Sistani

Dr. Fadel Jawad Hamid
University of kufa - College of poltical scienes

الملخّص :

تعد فكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية ، القاعدة الاساسية لخلق حالة التعايش المذهبي بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة ، وذلك في كل زمان ومكان ، إذ تصدى لابراز اهمية هذه الفكرة العديد من العلماء والمفكرين والباحثين الاسلاميين، لاسيما على مستوى التاريخ الحديث والمعاصر .

وبذلك تناول هذا البحث الدور الكبير الذي قام به ابرز مفكري عصر النهضة الاسلامية في منتصف (القرن التاسع عشر) ، مثل السيد (جمال الدين الافغاني) والشيخ (عبد الرحمن الكواكبي)، وما طرحاه من أسهامات تأسيسية في هذا الجانب، والتي كان لها الاثر الواضح والكبير في تأسيس دار التقريب بين المذاهب الاسلامية التي نهض بها علماء اجلاء من مختلف المذاهب الاسلامية ومن بلدان اسلامية شتى، إذ تم تناول ابرز اسهامات هؤلاء العلماء والمفكرين في عملية النهوض بهذه الفكرة (التقريب)، وذلك في سعيهم لرسم ملامح المشروع الاسلامي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ليمثل منهجا وخطا فقهيا وفكريا ومعرفيا عاما وشاملا ، تنضوي فيه العديد من المذاهب والمدارس الفقهية الاسلامية .

وفي هذا السياق تناول البحث الدور الاساسي والمحوري الكبير الذي تصدى له ونهض به سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) ، في عملية اعادة احياء هذا المشروع الاسلامي النهضوي الكبير، (مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية)، وذلك من خلال الفتاوى والبيانات والرسائل والاجابات ، التي طرحها سماحته في هذا الجانب ، والتي شكلت انطلاقة قوية وحقيقية جديدة في مسألة اعادة احياء مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، مما كان له وما زال الاثر الكبير في عملية تحقيق التعايش المذهبي بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة ، وذلك على مستوى العالم الاسلامي بشكل عام ، وعلى مستوى العراق بشكل خاص ، بعد ما شهده هذا البلد المسلم من مخاطر وتهديدات وتحديات كبيرة تمثلت ببروز دعاوى التعصب والتكفير والتطرف والغاء الآخر ، وذلك بعد عام ٢٠٠٣ .

الكلمات المفتاحية : التقريب، الحوار ، التعايش المذهبي، العيش المشترك، الوحدة الإسلامية، المرجعية الدينية، السيد السيستاني، نبذ التطرف

Abstract:

The idea of rapprochement between Islamic sects, the basicrule for creating a state of sectarian coexistence between the different Islamic and that at all times and places many islamice school are, thinkers and researchers especially at the level of modern and contemporary nistory have addressed the importantce of this idea .

Thus, this research dealt with the great role played by the mest prominent thinkers of the Islamic renaissance in the mid- nineteenth centary like mr. jawad Al- Din Al- Afahami and sheikh Abdul Rahman Al- Kawkibi what are the foundation contributions .

They made in this regrd, which had a clear and significant impact in establishing the house of rapprochem between the Islamic sects, which was aroused by eminent scholars from rarious Islamic sects and from rarious Islamic countries .

The most prominent eontributiens of these school are and thinkers in the process of advancing this idea (approximation) were discussed this is in their quest to eutline the features of Islamic project to bring the islamis sects closer together to represent and complehensive approach and error of jurisprudence intellectual and cognitive know in which many Islamic sects and school of jurisprudence are uncluded .

In this context , the research dealt with the main and pivotal role that was addressed and promoted by this eminence sayyid Ali Al-Husseini Al- Sistani (may his shadow be long) in the process of reving this great Islamic renaissance project (the project to bring Islamic sects together.

And that was through the fat was statement messages and asnwers that his eminence presented in this regard which constituted a strong and real new start in the issue of reviing the project of rapproehement between Islamic sects.

Which had and continues to have a great impact on the process of achiering sectarian coexistence amony the followers of the different Islamic sects at the level Iraq in particular, especiailly after the great dangers threats and challenges that this Muslim country witnessed represented by the mergence of claims of intolerance atonement, extremism and the abolition of the other aad that after 2003.

Keyword : Rounding, dialogue, sectarian coexistence, coexistence, Islamic unity, religious reference, Mr. Sistani, renounce extremism

المقدمة

يعد موضوع (التقريب بين المذاهب الاسلامية) ، من المواضيع الاساسية والمحورية ، التي طرحت في الساحة الفكرية الاسلامية وذلك منذ وقت ليس بالقصير نسبيا ، ويتبدى ذلك من خلال الاسهامات الفقهية والفكرية الكبيرة ، التي طرحها ابرز رواد عصر النهضة الاسلامية ، من المفكرين الاسلاميين اللذين عنوا بالتنظير لهذا الموضوع الاساسي والمحوري ، وذلك في محاولة منهم لتوحيد صفوف الامة الاسلامية على اساس المشتركات الموجودة ، ومحاولة ابقاء نقاط الاختلاف (الفقهية والفكرية) ، بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة للبحث العلمي الرصين ، والذي يتصدى له العلماء المتخصصين في هذا المجال .

ولاشك ان هذه الاسهامات الفقهية والفكرية الكبيرة وذلك على مستوى موضوع (التقريب بين المذاهب الاسلامية) ، والتي طرحها رواد عصر النهضة، شكلت بابعادها ودلالاتها ونتائجها اللبنة الاولى للتأسيس لفكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية ، هذه الفكرة التي انشغل بها العديد من العلماء والفقهاء والمفكرين والباحثين الاسلاميين ومن مختلف المدارس والمذاهب الاسلامية ، وهو الامر الذي اسهم وبشكل كبير واساسي في تأسيس دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة ، في عام (١٩٤٧م) ، وذلك بجهود (الشيخ القمي) وعلماء الازهر في مصر الكنانة ، إذ برز هنا الدور الكبير الذي اضطلع به العديد من فقهاء وعلماء (اهل السنة والشيعة) في مختلف البلدان الاسلامية ، في محاولة جادة لرسم ملامح المشروع الاسلامي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، ليمثل منهجا وخطا فقهيا وفكريا ومعرفيا عاما ، تنطوي فيه العديد من المذاهب والمدارس الاسلامية .

وبالرغم من الاسهامات الكبيرة التي طرحها وتصدى لها ونهض بها الكثير من علماء المسلمين من (السنة والشيعة) ، في هذا المجال (التقريب بين المذاهب الاسلامية)، حيث كانت (دار التقريب بين المذاهب الاسلامية) العنوان الابرز لتلك الاسهامات والمحاولات المطروحة، الا ان الملاحظ هنا هو انحسار تأثير هذه الدار بعد فترة من تأسيسها ، وذلك لأسباب ذاتية ، ترتبط برحيل العديد من العلماء الكبار المؤسسين لهذه الدار، والمساهمين في ازدهارها، ولأسباب موضوعية ترتبط بالخطاب التقريبي النخبوي

الذي اعتمدته هذه الدار، مما ادى الى وجود فجوة واضحة بينها وبين عامة الناس ، وهنا برزت الحاجة الملحة على مستوى الساحة (الفقهية والفكرية) الاسلامية ، لاحياء مشروع (التقريب بين المذاهب الاسلامية) ، وهي المهمة الكبرى التي اضطلع بالتصدي لها والنهوض بها سماحة (السيد علي الحسيني السيستاني) (دام ظله) ، وذلك في احلك الظروف التي تمر بها الامة الاسلامية بشكل عام ، وبلدنا العزيز العراق بشكل خاص ويتبين ذلك من خلال الفتاوى والبيانات والرسائل والاجابات التي طرحها سماحته والمتعلقة بموضوع (التقريب بين المذاهب الاسلامية) ، إذ يعد سماحة السيد السيستاني (دام ظله) هنا المرجع الذي احيا هذا المشروع ، وامده بانطلاقة قوية اسهمت وبشكل اساسي وكبير في تحقيق حالة التعايش المذهبي بين ابناء المذاهب الاسلامية المختلفة في العراق ، وذلك في اخطر مرحلة تاريخية مر بها هذا البلد المسلم ، وبهذا يعد سماحة السيد السيستاني رائد مدرسة التقريب بين المذاهب الاسلامية في التاريخ المعاصر على مستوى العالم الاسلامي بشكل عام وعلى مستوى العراق بشكل خاص .

فرضية البحث

شكلت الفتاوى والبيانات والرسائل والاجابات التي طرحها سماحة السيد (علي الحسيني السيستاني) (دام ظله)، حول موضوع (التقريب بين المذاهب الاسلامية) انطلاقة (فقهية وفكرية)حقيقية جديدة على مستوى احياء مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، مما كان له الاثر الواضح والكبير في تحقيق حالة التعايش المذهبي في العراق بعد عام ٢٠٠٣ .

أشكالية البحث //

شهد العراق بعد عام ٢٠٠٣ ، بروز افكار وممارسات تدعو للتعصب المذهبي ، كما شهد بروز دعوات للتكفير والتطرف وألغاء الآخر ، لاسيما ابان الهجمة الارهابية التي تعرض لها من قبل عصابات داعش الارهابية عام (٢٠١٤)، وهو الامر الذي يتطلب وبالحاح ضرورة وجود دراسات وبحوث علمية متخصصة ، تعني بدراسة وبحث فكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية ، واثر هذه الفكرة في خلق حالة التعايش المذهبي بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة ، وذلك على مستوى العالم الاسلامي بشكل عام ، وعلى مستوى العراق بشكل خاص .

أهداف البحث

١ – يهدف البحث الى تسليط الضوء على اهمية فكرة (التقريب) بين المذاهب الاسلامية ، وارتباط هذه الفكرة في خلق حالة التعايش المذهبي بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة .

٢ – ويهدف البحث الى دراسة عملية التطور التأريخي لفكرة (التقريب) بين المذاهب الاسلامية ، واسهامات العلماء والمفكرين والباحثين الاسلاميين في هذا الجانب ، وذلك على مستوى التاريخ الحديث والمعاصر.

٣ – كما يهدف البحث الى التأكيد على ان فكرة (التقريب) بين المذاهب الاسلامية هي بمثابة ضرورة تاريخية ملحة ، تحتاجها الساحة الفقهية والفكرية باستمرار ، في هذه المرحلة التاريخية المفصلية والخطيرة التي تعيشها شعوب العالم الاسلامي مع بروز دعاوى التعصب والتطرف والتكفير والغاء الاخر وبشكل خطير.

٤ – ويهدف البحث الى دراسة وبحث الدور الأساسي والكبير الذي تصدى له ونهض به سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله) في اعادة احياء مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، وتأثير ذلك في خلق حالة التعايش المذهبي ، في العراق بعد عام (٢٠٠٣) ، وذلك من خلال تشخيص وتحليل الفتاوى والبيانات والرسائل والاجابات التي طرحها سماحته في هذا الجانب .

المبحث الاول

الاطار المفاهيمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

المطلب الاول: مفهوم التقريب

المطلب الثاني: الجذور الفكرية للتقريب بين المذاهب الاسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر

تمهيد

يعد موضوع التقريب بين المذاهب الإسلامية من المواضيع الأساسية والمحورية الكبيرة التي انشغل بها العديد من الفقهاء والمفكرين والباحثين الإسلاميين ، وذلك على مستوى التاريخ الحديث والمعاصر، لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في عملية تحقيق متطلبات الوحدة الإسلامية بين اتباع المذاهب الإسلامية المختلفة.

انخرط العديد من فقهاء ومفكري العالم الإسلامي ومن مذاهب واقطار إسلامية مختلفة في محاولة جادة ومخلصة منهم لتحقيق هذا الهدف الكبير (الوحدة الإسلامية)، وذلك من خلال اعتماد مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية كمدخل واساس موضوعي وعلمي رصين لتحقيق هذا الهدف، توجت هذه المساعي الكبيرة في انشاء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة عام (١٩٤٧)، هذه الدار التي اخذت على عاتقها النهوض بمشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية واسهمت بشكل كبير في تثبيت الأسس الموضوعية والعلمية لهذا المشروع، ولأسباب موضوعية وذاتية فان مسيرة هذه الدار لم يقدر لها الاستمرار وذلك لاكمال هذا المشروع والوصول الى نتائجه وأهدافه المرجوة.

وهنا برزت الحاجة الملحة لاعادة احياء هذا المشروع الإسلامي الكبير، وهي المهمة الكبرى التي اضطلع بمسؤولية النهوض بها والسعي الى تحقيقها المرجع الكبير اية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)، ويأتي هذا البحث محاولة متواضعة من قبل الباحث لرصد وتشخيص وتحليل ماطرحه سماحة السيد السيستاني (دام ظله) من فتاوى وبيانات ورسائل واجابات تناولت موضوع التقريب بين المذاهب الإسلامية وصولاً الى تحقيق متطلبات التعايش المذهبي بين اتباع المذاهب الإسلامية داخل العراق بشكل خاص وعلى مستوى العالم الإسلامي بشكل عام.

المطلب الاول: مفهوم التقريب

ان موضوع (التقريب) بما يتضمنه من دلالات ومعطيات وابعاد حضارية وثقافية (فكرية) ومدنية شاملة ، كان وما زال موضع اهتمام المفكرين والباحثين في الشأن الثقافي (الفكري) والمعرفي بشكل عام ، سواء كان التقريب على المستوى الديني (التقريب ما بين الاديان) ام على المستوى المذهبي (التقريب ما بين المذاهب الاسلامية) ام على المستوى الثقافي العام (التقريب بين الثقافات والافكار)، إذ انشغل الكثير من الفقهاء والمفكرين والباحثين الاسلاميين بموضوع (التقريب ما بين المذاهب الاسلامية)، وذلك في سعيهم لرسم ملامح المشروع الاسلامي للتقريب ليمثل منهجا وخطا فقهيا وفكريا ومعرفيا عاما تنطوي فيه العديد من المذاهب والمدارس الاسلامية . كما في قوله تعالى

(ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) [١].

وقوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [٢].

وقوله تعالى (وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) [٣].

وفي الحديث الشريف أمر الرسول الكريم (ص) الامة بالاتحاد والترابط والتزاحم والتعاضد فيما بين بعضهم البعض، كما في الحديث المتفق عليه (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)، والحديث الشريف: (لاتختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[٤].

ولما كانت وما زالت مسيرة التقريب وبحسب (محمد علي آذرشب) هي مسيرة مقاصدية التفكير ، وهي مسيرة رسالية في حركتها، وهي مسيرة حضارية تقوم على اساس خطاب واقعي لاخيالي ، وهي فريضة نصت عليها الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة .

وبالتالي فان مسيرة التقريب ضرورة لابد منها امام مايواجهه المسلمين من تحديات ،[٥] لذلك فان الدراسات والبحوث التي تعنى بابراز الدلالات والابعاد (الفقهية والفكرية) والاجتماعية والسياسية والثقافية الخ التي يتضمنها موضوع التقريب بشكل عام ، وبالاخص موضوع التقريب بين المذاهب الاسلامية من الاهمية بمكان بحيث اضحى احد ابرز متطلبات ترسيخ ثقافة التعايش السلمي ما بين اتباع المذاهب المختلفة في مختلف لبلدان الاسلامية ، وبلدنا العزيز العراق ليس استثناء من هذه الرؤية وهذا المنظور .

على ذلك سنتناول الدلالة اللغوية لمفردة التقريب والدلالة الاصطلاحية لها كمدخل لدراسة موضوع (التقريب بين المذاهب الاسلامية):

أولا : التقريب لغةً

التقريب لغتاً: يعني : قرب : القُرب نقيض البعد ، قَرُبَ الشئُ بالضم ، يقرب قرباً وقرباناً وقِرباناً أي دنا ، فهو قريب ، الواحد والاثنان والجمع في ذلك سواء[٦].

وفي القرآن الكريم وردت مفردة (قريب)، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾"[٨]، وقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾"[٩].

" ولفظ التقريب (L'approche) تدل على مسألة نسبية في الغرب ، تتفاوت في حقيقتها وتطبيقاتها لدى مختلف الاطراف، بل في نظرة كل طرف على حدة في فترة زمنية معينة ، فقد تقتصر على حد ادنى من المجاملات الشكلية وقد تتوغل في الاقتراب الى درجة الاندماج والوحدة وسقوط الفوراق وبين هذا وذلك مراتب عديدة "[١٠].

ثانياً: التقريب اصطلاحا

التقريب اصطلاحا "هو التقريب بين وجهات النظر المختلفة سواء أكان ذلك فيما يقع للناس في امور معاشهم وطرائقها ، ام كان في نظرتهم مثلا لبعض الفروع الفقهية واختلافهم بشأنها من جهة ما يعتريها من احكام ومن التقريب بهذا المعنى محاولة التقريب بين المذاهب الاسلامية خاصة بين اهل السنة والشيعة ، لما يترتب على ذلك من تقوية لمفهوم الاخوة الاسلامية الجامعة ، بعد ان عبثت بها نوازع الفرقة"[١١]، وان من اهم عوامل الصراع وسوء التفاهم بين اتباع المذاهب الاسلامية هو الجهل المتبادل وعدم الانفتاح الفكري في ما بينهم حتى على مستوى العلماء والقيادات، إذ يحتفظ كل طرف لنفسه بانطباع وموقف سلبي تجاه الطرف الآخر، دون ان يكون هناك مكان للبحث والتثبيت من صحة تلك الانطباعات والمواقف ، ودون ان تكون هناك أي مسؤولية امام الله (سبحانه وتعالى) في الحكم على ابناء الدين الواحد من اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة ، وهو مؤشر خطير الى عدم ادراك للنتائج التي يفرزها هذا الموقف الجاهلي وما يستتبعه من اخطار وتهديدات على وحدة الامة وتماسك صفوفها[١٢].

والتقارب هو وسيلة لجمع الشمل ورأب الصدع وتبادل حسن الظن والتقدير من اجل صيانة وحدة الامة[١٣].

ويراد بالتقريب العمل على تقريب الافكار من خلال التأكيد على المشتركات وتقريب المواقف في المختلف فيها ، مما يتطلب ذلك جهدا ثقافيا مستمرا لتعريف بعض

المسلمين ببعضهم الآخر ، من خلال بيان الاصول المشتركة والراسخة في جميع المذاهب(١٤).

وليس التقريب عملية قسرية ومصطنعة او حركة سياسية يراد بها ستر جانب من الضعف والنقص ، لكي تتم عملية تمويه على الطرف الاخر ، بل هي عملية اصيلة تقتضيها مجموعة امور واقعية(١٥).

إذ ان المقصود ب(التقريب) هنا هو بذل الجهد وافراغ الوسع بالتوافق والتراضي ، من اجل التقليص من مساحة الخلاف بحيث لايكون هذا الخلاف الذي نرى انه امر طبيعي في ظل التراكم التاريخي، سببا في الاختلاف الذي يفسد الاخوة بين المؤمنين(١٦).

على ذلك فأن التقريب ما بين المذاهب الاسلامية لايعني بأي حال من الاحوال وبأي معنى من المعاني ، ان يتخلى كل ذي مذهب عن مذهبه ، وان يتجاوز معتقداته وينصرف عن ثوابته اليقينية التي يؤمن بأنها جزء لايتجزأ من عقيدته الدينية(١٧).

وفي السياق نفسه فان التقريب بين المذاهب الاسلامية لايعني الغاء او دمج بعضها مع بعض او تغليب مذهب على آخر فهذا ما لاسبيل اليه ولاجدوى منه ، لأن بقاء المذاهب في اطار المفهوم الاسلامي للأختلاف في الرأي من عوامل ازدهار الحياة الفقهية ونموها ، وتقديم الكثير من وجهات النظر التي ترى فيها الامة سعة ويسرا في الاخذ والتطبيق بما يتلائم مع ظروف الزمان والمكان ، ومن هنا يتضح ان التقريب ما بين المذاهب الاسلامية لايراد به الغاء الخلاف بين المذاهب ذاتها او ادماج بعضها في بعض ، إذ ان الغاية من التقريب في هذا المجال تنحصر في ان يسود بين المذاهب المعتبرة تعاون وثيق وتفاهم عميق وتقارب يزيل الشك ، ويؤكد صدق النوايا ويعبر عن الاخوة الاسلامية ، ويعمل على وحدة الكلمة ونبذ الفرقة والا يكون الخلاف في الرأي بين الفقهاء سببا للعداء او البغضاء (١٨).

المطلب الثاني: الجذور الفكرية للتقريب بين المذاهب الاسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر

شهدالعالم الاسلامي في منتصف القرن التاسع عشر حركةً فكريةً وثقافيةً تجديدية كبيرة ، وذلك على مستويات وصعد عديدة ومتنوعة الديني منه والسياسي والاجتماعي

والفكري والثقافي ، وهو ما عرف (بعصر النهضة) ، وكان من ابرز مفكري هذه الحركة الفكرية والثقافية التجديدية ما عرف برواد عصر النهضة (المدرسة الاصلاحية) وهم " نموذج الاصلاحيين من مفكري الاسلام الذين عنوا بالعودة بالاسلام الى نقائه الاول وصفائه الاصلي على نحو ما فهمه السلف الصالح والرعيل الاول من رجالات الامة ، دونما ذهول عن الحاجة الى مواءمته ، مع العالم الحديث بأفكاره ومفاهيمه الجديدة خصوصا وانها ما بدت لهم غريبة عن الاسلام ، ومن ابرز رواد هذا النموذج : الطهطاوي والتونسي والافغاني ومحمد عبده والكواكبي ورشيد رضا وخالد محمد خالد وغيرهم ".[١٩]

إذ يبرز هنا الدور الذي قام به السيد (جمال الدين الافغاني) على مستوى معالجته لمسألة الوحدة الاسلامية ضمن اطار مشروعه الحضاري الذي يتلخص في دعوته الى اقامة جبهة (الاتحاد الاسلامي) والذي يقوم على اساس محاور عديدة ، ومن بين هذه المحاور ما يتعلق بمسألة التقريب بين المذاهب الاسلامية وهي كالتالي[٢٠]:

١ – التمسك بالدين الحنيف : وهنا يؤكد السيد الافغاني على ضرورة ان يكون هذا التمسك بالدين حاضرا من خلال وعي الامة له ، وهو الامر الذي من شأنه ان يحقق الهوية والشخصية الاسلامية لافراد الامة ويدفع نحو الاحياء والتكامل في المسيرة .

ويقول السيد جمال الدين الافغاني في ذلك ما نصه :" فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها ، والاخذ بأحكامها على ما كان في بدايته ، وارشاد العامة بمواعظه الوافية ، فاذا قاموا لشؤونهم وجعلوا اصول دينهم الحقة نصب اعينهم ، فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا منتهى الكمال الانساني"[٢١].

٢ – مكافحة البدع : لعل من ابرز مظاهر عصور الانحطاط الفكري والثقافي هي انتشار البدع والتي من شأنها تفريق الامة وابعادها عن طريق التقدم ، إذ يقول السيد الافغاني في ذلك ما نصه :" هل تعجب ايها القارئ من قولي : ان الاصول الدينية المبرأة عن محدثات البدع ، تنشئ قوة الاتحاد وأئتلاف الشمل"[٢٢].

٣ – ضرورة حضور العلماء في الساحة : وهنا يؤكد السيد (جمال الدين الافغاني) على ان حضور العلماء وتصديهم للنهوض بوعي الامة من شأنه ان يبعد المسيرة عن

الجهل والانحراف وفي ذلك يقول :" ان كان للعامة عذر في الغفلة عما اوجب الله عليهم فأي عذر يكون للعلماء وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه !! لمَ لايسعون في توحيد متفرق المسلمين ؟! لم لايبذلون الجهد في جمع شملهم ؟! لم لايفرغون الوسع لاصلاح ما فسد من ذات بينهم ؟!

كان من الواجب على العلماء – قياما بحق الوراثة – ان ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف [٢٣]".

وتأتي اسهامة الشيخ (عبد الرحمن الكواكبي) في اطار مشروعه الاصلاحي للنهوض بالامة من خلال تحرير ارادتها والتخلص من جميع انواع وصنوف الاستبداد (السياسي والديني)، والدعوة الى التقريب بين المذاهب الاسلامية من خلال النظر الى الخلاف المذهبي بنظرة حضارية ، إذ يمكن تلخيص المشروع الاصلاحي للكواكبي بما يلي[٢٤]:

١ – الامة بحاجة الى ان تتحرر ارادتها في ادارة شؤون حياتها ضمن اطار الدين .

٢ – الاستبداد السياسي والاستبداد الديني يؤديان الى الفتور او هبوط الاندفاع في المعركة التكاملية .

٣ – الفتور هو اهم اسباب كل مانعانيه من سلبيات بما في ذلك التفرقة والتجزئة والتخاصم ، من هنا فانه ينظر الى الخلاف المذهبي بنظرة حضارية .

على ذلك فقد شكلت الافكار والرؤى والتصورات التي طرحها السيد (جمال الدين الافغاني) والشيخ (عبد الرحمن الكواكبي) ، اللبنة الاولى للتصدي الى مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وذلك على مستوى التاريخ الحديث والمعاصر في العالم الاسلامي ، وهو الامر الذي اسهم وبشكل كبير في بلورة ورسم ملامح مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، مع بروز الدور الكبير الذي قام به دار التقريب بين المذاهب الاسلامية الذي بدأ اعماله في القاهرة قبل اكثر من نصف قرن (١٣٦٨ هـ / ١٩٤٧ م) ، وأتت أكلها على مدى عقود من السنين ، وهي من مظاهر التعاون والتفاهم في العالم الاسلامي ، وطالما اثمر هذا التعاون على مر التاريخ وخاصة منذ منتصف القرن التاسع عشر عن ثمار طيبة ساهمت في دفع مسيرة امتنا على ساحة التاريخ[٢٥]، إذ

يبرز هنا الدور الكبير الذي قام به نخبة من علماء المسلمين من السنة والشيعة في تأسيس هذه الدار المباركة .

أسس دار التقريب بين المذاهب الاسلامية الشيخ (محمد تقي القمي) وساعده فضيلة الشيخ (محمد المدني) ، ومن علمائها الكبار : الشيخ (محمد شلتوت)، الشيخ (محمد حسين آل كاشف الغطاء) ، الشيخ (عبد المجيد سليم) ، السيد (عبد الحسين شرف الدين) ، والشيخ (محمد جواد مغنيه) ، ومن اساتذتها الكبار (محمد علي علويه) ، (محمد عبد الله دازر) ، (محمود فياض) ، وغيرهم ممن اجزلوا العطاء في ميدان التقريب بين المذاهب والطوائف الاسلامية(٢٦).

وبحسب (محمد علي آذرشب) ، فان الشيخ (محمد تقي القمي) ، هو رجل عاش هموم العالم الاسلامي ، ورأى ضرورة ما بدأه السيد (جمال الدين الافغاني) في كسر للحواجز الاقليمية والمذهبية بين المسلمين ، وعرف ما في نفسه من قدرة على هذا العمل الجبار ، فانطلق من ايران متجها الى نفس محط رحال السيد (الافغاني)، واتصل بمن يشاركونه الفكرة من كبار علماء الازهر ، فوجد الاستجابة المدهشة من رئيس هذا المركز الديني الكبير الى بقية علمائه وسائر المثقفين والجامعيين في ارض كنانة المسلمين(٢٧).

ويرى الشيخ (محمد تقي القمي) ان حالة العالم الاسلامي وما يعتريها من تفكك وتعصب هي التي دعت المفكرين الى التصدي والنهوض بحركة التقريب بين المذاهب الاسلامية وفي ذلك يقول : " كان الوضع قبل تكوين جماعة التقريب يثير الشجن ، فالشيعي والسني كلٌ كان يعتزل الآخر ، وكلٌ كان يعيش على اوهام ولدتها في نفسه الظنون او ادخلتها علية سياسة الحكم والحكام او زينتها له الدعاية المغرضة ، وساعد على بقائها قلة الرغبة في الاطلاع "(٢٨).

ومن خلال تشخيص بالغ الدلالة يضيف الشيخ (القمي) بقوله : " اجل لقد ظلت الفرقة بين المسلمين غذاءا مناسبا للحكم والحكام قرونا عدة ، دأب فيها كل حاكم على استغلالها لتثبيت سلطانه ولتحطيم عدوه ، ثم جاءت السياسات الاجنبية فوجدت في هذه الفرقة خير وسيلة لتدخلها ، وبث نفوذها ودعم سلطانها وفرض سيطرتها "(٢٩).

وهكذا يطرح الشيخ (القمي) المسوغات الموضوعية التي فرضتها طبيعة المرحلة التاريخية في حينه وما تحمله من تحديات وذلك على الصعيد (المذهبي) وعلى الصعيد (الفكري الثقافي) وعلى الصعيد (الاجتماعي) وعلى الصعيد (السياسي) للنهوض بمشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية والارتقاء به وفي ذلك يقول :" هكذا بدأنا التفكير في التقريب ، ودرسنا المشاكل الطائفية برمتها ، والكتب المعتمدة عند كل فريق لتحدد الطوائف التي تتفق في الاصول الاسلامية ودرسنا الخلافات الفرعية الفقهية ومبلغ ما وصلنا اليه ثم حددنا انجح الطرق للوصول بفكرتنا الى الاعماق .

وقد ادى بنا التفكير الى ان هذه الدعوة يجب ان تقوم بها جماعة بدل ان يقوم بها فرد يتعرض لكثير من الاخطار ، وان تكون الدعوة الى التقريب بين ارباب المذاهب لا الى جمع المسلمين على مذهب واحد ، فيبقى الشيعي شيعيا والسني سنيا ، وان يسود بين الجميع مبدأ احترام الرأي والرأي الذي يؤيده الدليل وان تكون الجماعة ممثلة للمذاهب الاربعة المعروفة عند اهل السنة ومذهبي الشيعة الامامية والزيدية ، وان يمثل كل مذهب علماء من ذوي الرأي والمكانة فيه ، وان تكون الجماعة بمعزل عن السياسة وان تكون محددة الاهداف ، وان يكون سعيها على اساس البحث والعلم في مقاومة الطوائف والنحل التي ليست من الاسلام في شئ والتي يحسبها الشيعي سنية والسني شيعية بينما هي في حقيقتها حرب على الاسلام "[٣٠].

تجدر الاشارة هنا الى ان من ابرز الاثار والاسهامات العلمية والفكرية التي طرحتها دار التقريب بين المذاهب الاسلامية هي اصدار مجلتها (رسالة الاسلام) حيث صدر العدد الاول منها في ربيع الاول سنة ١٣٦٨ هـ / يناير ١٩٤٩ م ، وتواصلت بالصدور كل ثلاثة اشهر ، وتعثرت في الصدور بعض الاعوام وظهر منها ستون عددا في نحو ربع قرن ، إذ صدر عددها الستون والاخير في رمضان ١٣٩٢ هـ / اكتوبر ١٩٧٢ م ، وتضمنت هذه المجلة مجموعة من المقالات ودراسات واخبار يشكل سفرا هاما من ادبيات التقريب في عالمنا المعاصر[٣١].

وفي هذا السياق يمكننا ان نشير الى ابرز الاسهامات الفكرية التي قدمها نخبة من علماء السنة والشيعة حول موضوع التقريب بين المذاهب الاسلامية وذلك على مستوى التاريخ المعاصر وهم كل من : -

أولا – الشيخ محمود شلتوت .

ثانيا – عبد المجيد سليم .

ثالثا – الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء .

رابعا – السيد حسين الطباطبائي البروجردي .

أولا – الشيخ محمود شلتوت /

يعد الشيخ (محمود شلتوت) من ابرز العلماء في العالم الاسلامي ممن حملوا هم الامة الاسلامية ، على مستوى انجاز مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية إذ احتل موضوع التقريب مساحة هامة من طروحاته ومساعيه في هذا الجانب ، وبحسب (محمد علي اذرشب) فان مشروع التقريب للشيخ (محمود شلتوت) يتلخص فيما يلي[٣٢]:

١ – مشروع التقريب يجب ان لا ينفصل عن مشروع احياء الامة وتحرير العقل المسلم من الهزيمة والتقليد والتبعية .

٢ – التقريب له ارتباط وثيق بحمل هموم الامة ، ولايمكن استشعار ضروريته الا بالارتفاع الى مستوى مقاصد الاسلام العليا ، وعلى رأسها وحدة الامة الاسلامية .

٣ – الفقه المقارن مدخل جيد للتقريب بين المذاهب الاسلامية ودراسة الفقه يجب ان تكون حرة خالية من التعصب لمذهب ولابد ان يواكب الفقه ظروف الزمان والمكان.

٤ – التقريب لابد ان يقترن بتبصير المسلمين بدينهم وقطع اسباب الخلاف والتفريق بينهم .

٥ – التفريق بين ما هو ضروري من الايمان ، وما ليس بضروري .

ثانيا – الشيخ عبد المجيد سليم /

وبالانتقال الى شخصية ازهرية متميزة اخرى ، ممن حملوا لواء التقريب بين المذاهب الاسلامية وكان الحاضن الاساس لدار التقريب منذ تأسيسها وهو الشيخ (عبد المجيد سليم) الذي يتلخص مشروعه التقريبي بما يلي[٣٣]:

١ – التفريق بين الاحكام الثابتة التي لايجوز الاختلاف فيها، والاحكام الاجتهادية القائمة على اساس الفهم والاستنباط او واردة بطرق ظنية لاترقى الى درجة اليقين والاختلاف في هذه الثانية طبيعي .

٢ – نشر التراث الشيعي بين اهل السنة ،وتراث السنة بين الشيعة ، خاصة ما كان من مثل كتاب مجمع البيان الذي يتوخى الموضوعية وينأى عن التعصب المذهبي .

٣ – أحياء الأهداف الكبرى امام المسلمين : اعلاء كلمة الله ونشر دينه والدفاع عن الحق ، وبذلك ينسوا ما بينهم من خلافات طفيفة .

٤ – افضل سبيل لوحدة المسلمين هو (التفاهم) وان يدرك كل فريق ما عند الاخر، حتى يسود الشعور بانهم امة واحدة .

٥ – فهم التحديات الكبرى التي تحيط بالمسلمين وتستهدف ايمان المسلمين وهويتهم ووجودهم .

٦ – اكثر الاختلافات بين المسلمين في المعارف التي لم يكلف الله احدا منهم بالاعتقاد بشئ منها ، ولايجوز ان ينسينا هذا الخلاف اخوتنا .

ثالثا – الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء /

يعد الشيخ (محمد حسين كاشف الغطاء) من بين ابرز الشخصيات العلمائية التي تبنت مشروع الاصلاح في العالم الاسلامي وذلك على الصعيد المحلي وعلى الصعيد الخارجي بين مختلف الدول والمجتمعات الاسلامية ، فيما يتعلق بموضوع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، إذ يوصف الشيخ (محمد حسين كاشف الغطاء) بانه شيخ المراجع التقريبيين المعاصرين في النجف الاشرف[٣٤]، ويمكن تلخيص المشروع التقريبي للشيخ كاشف الغطاء في العديد من المحاور وهي كالاتي[٣٥]:

١ – التواصل بين العلماء عن طريق الاسفار وحضور حلقات دروسهم واقامة الندوات والمؤتمرات التي تجمعهم .

٢ – رد الشبهات التي تكال لهذا المذهب او ذاك بالاسلوب العلمي الهادئ ، وبالتي هي احسن ، لتزول تلك الشبهات .

٣ – الاتحاد بين المسلمين لايتحقق الا باخلاص النية والعمل الجاد .

٤ – لايمكن ان تعود للمسلمين عزتهم الا ان يتخلصوا من ذاتيتهم وانانيتهم " وان يرى كل فرد من الامة ان المصلحة النوعية (العامة) هي عين المصلحة الفردية بل فوقها".

٥ – مهما كانت الاختلافات بين المذاهب الاسلامية فانها لاتؤدي الى قطع حبل الاخوة بين المسلمين ، اذ ان هذه الاخوة فوق كل الاعتبارات .

رابعا – السيد حسين الطباطبائي البروجردي /

يعد السيد (حسين البروجردي) صاحب مدرسة في الفقه وصاحب مدرسة في رجال الحديث وصاحب ابتكارات عظيمة في حقل تصنيف الحديث[٣٦]، وبالاضافة الى ذلك فان السيد (البروجردي) هو من الشخصيات العلمائية الكبيرة التي حملت هموم الامة الاسلامية ومشاكلها ، إذ انفتح وفي وقت مبكر من حياته على معالجة هذه الهموم والمشاكل التي تعاني منها الامة الاسلامية ويتبين ذلك من خلال مواقفه العلمية والعملية نحو تأليف الامة وجمعها على كلمة سواء ، إذ تميز السيد (البروجردي) بطرحه لمشروع علمي في التقريب بين المذاهب الاسلامية ، ويمكن تلخيص منهجه العلمي في هذا المجال (التقريب بين المذاهب الاسلامية) بما يلي[٣٧] :

١ – ضرورة رجوع الفقيه الشيعي الى فتاوى اهل السنة .

٢ – الفصل بين التيار الاموي وتيار الفقه السني .

٣ – اهتمامه بالجمع بين روايات الشيعة واهل السنة .

٤ – التأكيد على المرجعية العلمية لآل البيت (عليهم السلام) لعلاقتها بواقع المسلمين الراهن، اما الاختلاف في مسألة الامامة والخلافة فلم يعد هناك مبرر لطرحه ولا جدوى فيه .

٥ – ضرورة التواصل بين العلماء من مختلف المذاهب الاسلامية .

٦ – التقريب يجب ان يحتل المرتبة الاولى من اهتمام علماء المسلمين .

تجدر الاشارة هنا الى ان هناك اسهامات علمية وعملية عديدة قدمها رجال دين ومجتهدين (مراجع) ومفكرين في التأسيس لمشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، إذ شكلت هذه الاسهامات محطات مهمة في موضوع (الجذور الفكرية للتقريب بين المذاهب الاسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر) ، الا ان الباحث اقتصر على تناول ابرز هذه النماذج وذلك لمقتضيات ومتطلبات المنهجية العلمية في هذا البحث ، وفي السياق نفسه ومن خلال ما تم تناوله في هذا المطلب حول موضوع (الجذور الفكرية للتقريب بين المذاهب الاسلامية) فانه يتبين ان احد ابرز اهداف مشروع التقريب بين

المذاهب الاسلامية هو التقريب الفكري بين هذه المذاهب والذي يقوم على الحوار العلمي الهادئ والموضوعي للوصول الى مواقف مشتركة ، خصوصا في مجالات الحياة العملية من خلال البحث الاصولي والفقهي "وان نجتمع فيما اتفقنا عليه وان يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه "[٣٨].

إذ انه ليس من غايات واهداف التقريب بين المذاهب الاسلامية ان يترك السني مذهبه ، او الشيعي مذهبه وانما نريد ان يتحد الجميع حول الاصول المتفق عليها ، ويعذر بعضهم بعضا فيما وراء ذلك ، مما ليس شرطا من شروط الايمان ولا ركنا من اركان الاسلام ، ولا انكارا لما هو معلوم من الدين بالضرورة[٣٩].

المبحث الثاني

أطروحة التقريب عند السيد السيستاني

المطلب الاول: الاصول والمنطلقات الفكرية للتقريب عند السيد السيستاني.

المطلب الثاني: السيد السيستاني رائد مدرسة التقريب والتعايش المذهبي في العراق بعد عام ٢٠٠٣ م .

المطلب الأول: الاصول والمنطلقات الفكرية للتقريب عند السيد السيستاني

أولا : السيد السيستاني (ولادته ونسبه)

ولد السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) في ٩/ ربيع الثاني / ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م[٤٠] ، فيما تذكر موسوعة النجف الاشرف ان ولادة السيد السيستاني في عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م[٤١]،كما يذكر السيد (عامر الحلو) ان ولادة السيد السيستاني (دام ظله ظله) في سنة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥ م[٤٢].

اما من ناحية نسبه فهو السيد علي بن السيد محمد باقر بن السيد علي الحسيني السيستاني النجفي ، إذ ينتهي نسبه الى الامام الحسين بن امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليهما السلام) .

اشتهر بلقب (السيستاني) تبعا لجده الاعلى السيد (محمد) الذي تعين في منصب (شيخ الاسلام) في (سيستان) في عهد السلطان حسين الصفوي ، وهو من الذرية

الحسينية التي استوطنت (اصفهان) فلما انتقل السيد (محمد) الى (سيستان) وآله وذووه اطلق لقب السيستاني على ذريته من بعده[٤٣].

والده هو : العالم المقدس السيد (محمد باقر) ، وجده الحجة الكبير السيد علي السيستاني (١٣٤٠هـ)، أحد اعلام درسي الفقه والاصول في النجف الاشرف فيما بعد فقد هاجر الى خراسان مشهد الامام الرضا (ع) واقام برهة من الزمن في مدرسة الملا (محمد باقر السبزواري) ، ودرس فيها مبادئ العلوم العربية والشرعية ، وهاجر بعدها الى النجف الاشرف لمواصلة دراسته العلمية[٤٤].

ترجم له الشيخ اغا بزرك طهراني واعتبره من ابرز تلاميذ الحجة المؤسس المولى (علي النهاوندي) في (النجف الاشرف)، وفي سامراء من تلاميذه السيد المجدد (الشيرازي) (ت ١٣١٢ هـ) ،ثم اختص بالحجة الكبير السيد (اسماعيل الصدر) في (كربلاء المقدسة) و(الكاظمية)، وكان من أجل تلاميذه الآية الكبرى الشيخ (محمد رضا آل ياسين) (ت ١٣٧٠ هـ) ، كما مر في ترجمته ، ثم عاد الى مشهد الرضا (ع) في حدود عام (١٣٠٨ هـ) واستقر فيها ، وقد حاز مكانة سامية مع ما كان له من حظ وافر في العلم مع تقى وصلاح[٤٥].

ثانيا : الاصول الفكرية للتقريب عند السيد السيستاني (دام ظله)

١ – الدراسة الحوزية :

بعد ما انهى كتب المقدمات المقررة في الحوزات العلمية وكتب مرحلة السطوح التي تدرس في كل حوزة علمية منتمية الى مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ، انتقل أواخر عام (١٣٩٨ هـ) الى قم المقدسة وحضر على الاستاذين والفقيهين المرجع الكبير السيد (حسين الطباطبائي البروجردي) المتوفي عام (١٣٨٠هـ) في الفقه والاصول ، والسيد (محمد الحجة الكوهكمري) المتوفي عام (١٣٧٢ هـ) في الفقه فقط، واستفاد كثيرا من الملاحظات والنظريات الدقيقة العلمية في علمي الرجال والفقه للسيد (البروجردي) (قدس) ، إذ كان معروفا بالدقة والتحقيق في علم الرجال ولعله (قدس) من رواد الاهتمام بدراسة علم الرجال والرواد في مجال الاستنباط والفقه ، وكان معروفا بانتباهه الثاقب من خلال علم الرجال والتاريخ والفقه المقارن لبعض المسائل العلمية في الفقه والاصول[٤٦].

ان سماحة السيد السيستاني قد تأثر بأستاذه (البروجردي) وتعلم منه وناقش نظرياته ، وفي اوائل عام (١٣٧١هـ) انتقل من مدينة (قم) المقدسة الى النجف الاشرف وحط الرحال في مدرسة (البخارائي) الكائنة في محلة (الحويش) وحضر ابحاث الاستاذين الشهيرين السيد (ابو القاسم الخوئي "قدس") ، والشيخ (حسين الحلي) المتوفي عام (١٣٩٤هـ) (قدس) في الفقه والاصول ولازمهما وتابع الدراسة معهما بكل جد واجتهاد حتى نال منهما اواخر عام (١٣٨٠ هـ) درجة الاجتهاد(٤٧).

تجدر الاشارة الى ان السيد (الخوئي) لم يعط لأحد اجازة الاجتهاد ولم يشهد لأحد بذلك الا للطلائع البارزين من طلاب حوزته ، كما حصل سماحة السيد السيستاني (دام ظله) على اجازة الحديث من الحجة المحقق الشيخ (اغا بزرك الطهراني) صاحب كتابي (الشريعة) و(طبقات اعلام الشيعة) ، بعد ان اثنى على مهارته في علمي الحديث والرجال(٤٨).

وفي عام (١٣٨١ هـ) بدأ بتدريس بحث الخارج في الفقه على ضوء كتاب (المكاسب) للشيخ (الانصاري) ، واعقبه بتدريس كتابي الطهارة والصلاة وبعض ابحاث (الخمس) على نسق كتاب (العروة الوثقى) للسيد (الطباطبائي اليزدي) على مستوى ابحاث الخارج(٤٩).

كما ان سماحته بدأ بتدريس علم اصول الفقه على صعيد بحث الخارج من عام (١٣٨٤هـ) واكمل الدورة الثالثة لخارج علم الاصول عام (١٤١١ هـ) .

ولسماحة السيد (دام ظله) محاضرات في القواعد الفقهية والرجالية كان يلقيها على تلامذته ايام العطل مثل ايام الخميس والجمعة وايام المناسبات الدينية مثل شهر رمضان المبارك وايام محرم وصفر ، فدرس كتاب القضاء ، وقاعدة الالزام ، وابحاث الربا ، وقاعدة التقية ، وقاعدة لا ضرر ولا ضرار ، واعطى دروسا في الرجال مثل حجية مراسيل ابن ابى عمير فانها كالمسانيد وشرح مشيخة التهذيبين وغير ذلك(٥٠).

٢ – الالمام الواسع بالعلوم الحديثة :

يذكر العلامة السيد (محمد الغروي) حول تنوع المعارف والعلوم التي يلم بها سماحة السيد السيستاني (دام ظله) ، ويعطيها اهتماما كبيرا بالقراءة والتمحيص والتدقيق وخاصة العلوم الحديثة فيقول في ذلك :

" كان سيدنا الاستاذ علما بالعلوم الحديثة من علم الاجتماع ، والاقتصاد ، والسياسة، واصول القانون ، والفلسفة والتربية ... ويقرأ الكتاب ويعيد قراءته اذا كان الكتاب قيما في ايام العطلة الاسبوعية وساعات النهار ، فصارت لديه خبرة واسعة ومعلومات كثيرة وعميقة في شتى المجالات ، فبحث هذه الثقافة على تلاقح الافكار والمعلومات والثقافات وانتجت حداثة مستندة على اصالة في التفكير والاستدلال واسلوب العرض والاستنتاج ، وقد بدت هذه الظاهرة في ثنايا ابحاث الفقه واصوله"[٥١].

وفي السياق نفسه يشير (نبيل ياسين) الى ان سماحة السيد السيستاني (دام ظله) ربط بين الفكر الحوزوي الديني وبين الثقافات المعاصرة ، واضاف النظرة الاجتماعية لفهم النص الديني وفق الظروف الاجتماعية المتغيرة ، وقد درس سماحته القانون الحديث ، فراجع القانون العراقي ، والقانون المصري ، والقانون الفرنسي، واستفاد من قوانين المذاهب الاخرى على اساس احترام تلك القوانين[٥٢]، ويضيف (نبيل ياسين) الى ذلك بالاشارة الى ان سماحة السيد السيستاني (دام ظله) يحترم الرأي الاخر ويدفع طلابه الى الجدل والحوار ، ومن تاثيرات اهتمامه بسيادة القانون باعتباره مصلحة انسانية هو رفضه لمفهوم العقوبة باعتبارها نتيجة لتمرد العبد على سيده، فاعتبر ان هذا المفهوم مبني على التقسيم الطبقي للمجتمعات القديمة واعتبر هذه النظرية من رواسب الثقافات القديمة التي تتحدث باللغة الطبقية، وليس باللغة القانونية القائمة على مبدأ المصالح الانسانية العامة[٥٣].

٣ – رؤية التعايش المذهبي وباعث الدين والوعي :

ان الرؤية العميقة التي يقدمها سماحة السيد السيستاني (دام ظله) للتعايش بين ابناء المذاهب الاسلامية ، ليست فكرة اثارتها في ذهنه التطورات السياسية ، بل تنطلق من جذور دينية راسخة ، فهو خريج مدرسة حملت هم الوحدة والتقريب بين المسلمين منذ عقود من الزمن، هي مدرسة استاذه السيد (حسين البروجردي) (ت١٣٨٠هـ)، والذي كان المرجع الاعلى في الحوزة العلمية في (قم)، وهو من بين ابرز رجال الدين الذين رعوا تاسيس دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة في ستينيات القرن المنصرم ، إذ كان للسيد البروجردي اراءه وافكاره وطروحاته المعروفة على صعيد الانفتاح والتقريب[٥٤].

وقد انضم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) الى دروس السيد (البروجردي) عام (١٣٦٨ هـ)وتأثر به واستفاد من ملاحظاته ونظرياته العلمية الدقيقة في علمي الرجال والفقه[٥٥].

وفي هذا اللحاظ فان سماحة السيد السيستاني (دام ظله) ومن خلال بحثه لموضوع الاجتهاد والتقليد يؤكد على اهمية اطلاع الفقيه الشيعي على آراء فقهاء السنة المعاصرين لأئمة اهل البيت (ع) ، وان ذلك من مقومات الفقاهة والاعلمية كما جاء في تعليقاته على (العروة الوثقى مسألة رقم ١٧) [٥٦] .

المطلب الثاني : السيد السيستاني رائد مدرسة التقريب والتعايش المذهبي في العراق بعد عام ٢٠٠٣

يعد سماحة السيد السيستاني (دام ظله) الامتداد الحقيقي لمدرسة المرجع الكبير السيد (حسين البروجردي) في التقريب بين المذاهب الاسلامية ، ويتبين ذلك من خلال قراءة تحليلية متأنية للفتاوى والرسائل والبيانات والاجابات التي طرحها سماحته في هذا المجال (التقريب بين المذاهب الاسلامية) ، إذ شكل ما طرحه سماحته انطلاقة حقيقية قوية اخرى لاحياء مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، وان الظروف والتحديات التي تواجهها الامة الاسلامية اليوم هي بأمس الحاجة لوجود مثل هذه الانطلاقة القوية على صعيد احياء مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، إذ انه " في ظل التغيرات التي يشهدها العراق والمنطقة تبقى المدارس الفكرية التي أدت دورا متميزا في التاريخ وتمتلك الاصالة في طرح الافكار والتصورات، ان تأخذ دورها في هذه المرحلة التأريخية الخطيرة ، ومدرسة النجف الاشرف لما تمتلك من تاريخ وامكانات فكرية ثرية قادرة على توجيه البوصلة من خلال انتاج الاطروحات الفكرية القادرة على تمويج حركة التنمية الفكرية ، وما عرف عن النجف من اعتدال ووسطية ترشحها لان تلقي بثقلها لتجديد الوعي والمدارك وتحريك الاجواء في المياه الساكنة نحو تشجيع الحوار والاعتراف بالآخر وضمن الأطر والضوابط التي تحفظ للمدرسة ثوابتها وخصوصياتها ساعية بذلك الى فتح آفاق عدة جديد قادر على انقاذ العالمين العربي والاسلامي من محنته الراهنة"[٥٧].

وان من اولى مهام المرجعية الدينية في النجف الاشرف ممثلة بسماحة السيد السيستاني توحيد صفوف الامة الاسلامية[٥٨]، ويتبين ذلك من خلال البيان الذي

اصدره مكتب سماحته بتاريخ (٢٠٠٧/٢/٣م) حول الوحدة الاسلامية ونبذ الفتنة الطائفية ، حيث حمل هذا البيان مضامين وابعاد ودلالات كبيرة وعميقة اسهمت وبشكل كبير في احياء مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية، في ظل التحديات الكبيرة التي تواجهها الامة الاسلامية على هذا الصعيد، حيث يبدأ سماحة السيد (السيستاني) هذا البيان بما نصه : " تمر الامة الاسلامية بظروف عصيبة وتواجه ازمات كبرى وتحديات هائلة تمس حاضرها وتهدد مستقبلها ويدرك الجميع - والحال هذه مدى الحاجة الى رص الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية والتجنب عن اثارة الخلافات المذهبية ، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة ، ولايبدو سبيل الى حلها بما يكون مرضيا ومقبولا لدى الجميع ، فلا ينبغي اذا اثارة الجدل حولها خارج اطار البحث العلمي الرصين ، ولاسيما انها لاتمس اصول الدين واركان العقيدة ، فان الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد وبرسالة النبي المصطفى – وبالمعاد ويكون القرآن الكريم – الذي صانه الله تعالى من التحريف- مع السنة النبوية الشريفة مصدرا للأحكام الشرعية وبمودة اهل البيت ، ونحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة ومنها دعائم الاسلام : الصلاة والصيام والحج وغيرها "[٥٩].

وهنا يؤكد سماحته على ان " هذه المشتركات هي الاساس القويم للوحدة الاسلامية ، فلابد من التركيز عليها لتوثيق اواصر المحبة والمودة بين ابناء هذه الامة ولا اقل من العمل على التعايش السلمي بينهم مبنيا على الاحترام المتبادل وبعيدا عن المشاحنات والمهاترات المذهبية والطائفية ايا كانت عناوينها "[٦٠]. اذ ان الاختلاف –هنا- هو اختلاف تكامل لا اختلاف تضاد وتناقض وهذا الاختلاف الطبيعي يستتبع الإقرار بالتعدد بوصفه امراً واقعاً، لامناص منه[٦١].

ومن خلال تشخيص بالغ الدلالة حول ضرورة احياء مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية في هذه المرحلة الخطيرة من حياة الامة يقول سماحته : " فينبغي لكل حريص على رفعة الاسلام ورقي المسلمين ان يبذل ما في وسعه في سبيل التقريب بينهم والتقليل من حجم التوترات الناجمة عن بعض التجاذبات السياسية لئلا تؤدي الى مزيد من التفرق والتبعثر وتفسح المجال لتحقيق مآرب الاعداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الاسلامية والاستلاء على ثرواتها "[١] ، وهنا يستدرك سماحته حول ما يواجهه موضوع

النهوض واعادة احياء مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية من صعوبات وتحديات حاضرة وبقوة على صعيد المشهد السياسي (الصراع في المنطقة والصراع على السلطة في الداخل) وعلى صعيد المشهد الفكري الثقافي وما تقوم به بعض وسائل الاعلام اليوم من تشويه وتحريف للحقائق من اجل تأجيج الصراع المذهبي في العالم الاسلامي بشكل عام ، إذ يقول سماحته في ذلك ما نصه : " ولكن الملاحظ – وللأسف – ان بعض الاشخاص والجهات يعملون على العكس من ذلك تماما ويسعون لتكريس الفرقة والانقسام وتعميق هوة الخلافات الطائفية بين المسلمين ، وقد زادوا من جهودهم في الاونة الاخيرة بعد تصاعد الصراعات السياسية في المنطقة واشتداد النزاع على السلطة والنفوذ فيها ، فقد جدوا في محاولاتهم لاظهار الفروقات المذهبية ونشرها بل والاضافة عليها من عند انفسهم مستخدمين اساليب الدس والبهتان لتحقيق ما يصبون اليه من الاساءة الى مذهب معين والتنقيص من حقوق اتباعه وتخويف الاخرين منهم.

وفي اطار هذا المخطط تنشر بعض وسائل الاعلام – من الفضائيات ومواقع الانترنيت والمجلات وغيرها – بين الحين والآخر فتاوى غريبة تسئ الى بعض الفرق والمذاهب الاسلامية وتنسبها الى سماحة السيد (دام ظله) في محاولة واضحة للأساءة الى موقع المرجعية الدينية وبغرض زيادة الاحتقان الطائفي وصولا الى اهداف معينة "[٦٢]. وفي المقابل عندما سئل سماحة السيد السيستاني عما اذا كان مستعداً لدخول في حوار مع سنة العراق، أشار سماحة على الفور بوصفهم (أخوة) وحثهم على عقد اجتماعات مباشرة لأن هناك توافقاً في الآراء بين السنة والشيعة على معظم القضايا الأساسية واذا ماكان هناك خلاف فان الحوار افضل طريقة لحله[٦٣].

وفي السياق نفسه (التقريب بين المذاهب الاسلامية) فان سماحة السيد السيستاني وفي معرض اجابته عن سؤال لجريدة الزمان العراقية مفاده : " يكتسب الحوار بين المذاهب الاسلامية اهمية خاصة في التقريب بين وجهات نظر المسلمين حول العديد من القضايا فهل في نيتكم تبني مبادرة للحوار مع اهل السنة في العراق؟"[٦٤]، يجيب سماحته بما نصه : " التواصل مع اخواننا اهل السنة قائم سواء عن طريق اللقاءات المباشرة ام غيرها ، ووجهات النظر بيننا وبينهم متطابقة او متقاربة في معظم القضايا الرئيسية والحوار هو الاسلوب الامثل لحل الخلاف ان وجد"[٦٥] . ففي المجال التشريعي –مثلاً–

نلاحظ ان الاختلاف الفقهي بين الفقهاء من الوضوح بمكان بحيث انه يعد امر طبيعي وضروري في الوقت نفسه(٦٦).

ويؤكد سماحته هذا المعنى في اجابته على سؤال لمجلة (بولندا) الاسبوعية مفاده : " هل انتم مستعدون للتحاور والنقاش مع الفئات الاسلامية الاخرى؟"(٦٧)، إذ يجيب سماحة السيد بما نصه :" لاتوجد بيننا خلافات تذكر وان وجدت فالحوار هو الاسلوب المتين للتقارب وحل المشاكل"(٦٨).

وضمن استفتاءات تقدم بها جمع من المؤمنين حول الوضع الراهن في العراق، تتعلق بوظيفة رجال الدين يؤكد سماحته على دور رجال الدين في بناء المجتمع وتوجيهه تجاه القيم الاسلامية النبيلة، والسعي للتقارب بين المذاهب الاسلامية ، وذلك من خلال اجابة سماحته على هذا الاستفتاء بما نصه : " وظيفتهم –في هذا الزمان كسائر الازمنة – فيما يتعلق بالمجتمع هي السعي في ترويج الشرع الحنيف ونشر احكامه وتعليم الجاهلين ونصح المؤمنين ووعظهم واصلاح ذات بينهم ونحو ذلك مما يرجع الى اصلاح وتكميل نفوسهم ، ولا شأن لهم بالامور الادارية ونحوها"(٦٩).

اذ ان التعايش او العيش المشترك هو الضية المحورية في المتجمعات المتعددة وعليها يتوقف تحقيق السلم والاستقرار والازدهار وبها يرتبط مصير هذه المجتمعات والطوائف المكونة لها في آن معاً وان وجود المجتمعات التعددية واستمرارها رهن بالعيش المشترك ومدى ترسيخه كأساس لهذه المجتمعات المتعددة(٧٠).

وفي هذا السياق أدت المرجعية الدينية في النجف الاشرف ممثلتاً بسماحة السيد السيستاني دوراً اصلاحياً كبيراً في توجيه الخطاب الديني المعتدل ومحاربة الخطاب المتطرف متمثلاً في أعاد التشكيل الايديولوجي في برنامج التثقيف الديني والسياسي، الذي يقوم اساساً على اتجاهات ومعتقدات دينية فكان ومازال دورها الريادي والواجب الشرعي الملقى على عاتقها هو إعادة رسم وتشكيل ثقافة المجتمع بعمليات واسعة، وبالتالي إعادة تشكيل الصورة الدينية ومحاولة توجيه الفكر الإنساني والعمل باتجاه رغبة الفرد وارادته او عقله(٧١)، إذ ان المرجعية الدينية في العراق تعد ظاهرة متقدمة وناضحة سواء على صعيد الخطاب الديني او على صعيد القيادة او على صعيد المواقف(٧٢).

لذلك بذلت المرجعية الدينية ممثلتاً بسماحة السيد السيستاني (دام ظله) الطاقات الكبيرة للسعي الى نشر ثقافة التسامح والالفة بين فئات الشعب المختلفة وقطع الطريق امام كل المحاولات التي تهدف الى شق صف الوحدة الوطنية(٧٣).

تجدر الاشارة هنا الى ان سماحة السيد (السيستاني) يعطي مساحة واسعة لكافة النخب المجتمعية الدينية منها والثقافية (الاكاديمية) وغيرهم، للاسهام في عملية بناء المجتمع من خلال رفع مستوى الوعي الثقافي، ورفد واشاعة ثقافة الحوار والتقارب بين المذاهب الاسلامية ، ففي سؤال وجهته لسماحته جريدة الزمان العراقية مفاده:"هل توجد لدى سماحتكم خطة عمل للتواصل والحوار مع النخب الثقافية العراقية في الظرف الراهن والتأسيس لدعوات الحوار واعتدال المرجعية بين فئات أوسع"(٧٤)، يجيب سماحته بما يلي نصه :" المرجعية الدينية في النجف الاشرف تتواصل مع النخب المثقفة من اساتذة الجامعات وغيرهم ، وتسعى الى رفع مستوى الوعي الثقافي لدى مختلف شرائح المجتمع العراقي ، فان ذلك هو السبيل الوحيد لدرء الاخطار عن العراق وشعبه "(٧٥).

بعد عام ٢٠٠٣ توقع العراقيون ان تؤسس حكومة قادرة على اتخاذ الإجراءات الجريئة والحاسمة وذلك من اجل تحقيق تغيير بنوي وهيكلي للدولة، وتسمح بقبول التضحيات التي تتطلبها عملية بناء دولة المواطنة هذا الامل الذي يستند الى مبادئ أساسية في ظل وجود عقد اجتماعي جديد يقوم على تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية والحرية واحترام الحقوق الفردية مع تحديد العلاقة بين السلطة والشعب(٧٦). وفي هذا السياق ومن خلال قراءة تحليلية موضوعية لحقيقة الصراع السياسي في العراق اليوم وعلاقة هذا الصراع بالواقع المذهبي في العراق ، يطرح سماحة السيد السيستاني رؤيته حول هذا الموضوع من خلال تشخيص بالغ الدقة والدلالة وذلك في الرسالة الجوابية التي صدرت من مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في النجف الاشرف بتاريخ ٢٢/ رمضان المبارك / ١٤٢٧هـ الى الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي الدكتور (أكمل الدين احسان اوغلي) حول موضوع المشاركة في لقاء (مكة) ، والوثيقة المزمع اقرارها في ذلك اللقاء ، حيث اكد سماحته على مايلي نصه :" وبعد : فقد تلقى

سماحة السيد السيستاني – دام ظله – دعوتكم المؤرخة في ٩ / تشرين الاول للمشاركة في اللقاء المرتقب عقده لعلماء الدين العراقيين في مكة المكرمة خلال شهر رمضان المبارك ، كما انه اطلع على مشروع الوثيقة المزمع اقرارها في ذلك اللقاء .

وسماحته – دام ظله – اذ يشكركم على هذه الدعوة الكريمة ويعتذر من عدم تلبيتها – لما هو دأبه من عدم المشاركة في المؤتمرات واللقاءات المشابهة – يرحب بمشروع الوثيقة المذكورة ويدعو الجميع الى الالتزام ببنودها ، مؤكدا في الوقت نفسه على انه لايوجد في العراق صراع طائفي بين ابنائه من الشيعة والسنة ، بل توجد ازمة سياسية وهناك من يمارس العنف الطائفي للحصول على مكاسب معينة ، ويضاف الى ذلك ممارسات التكفير بين الذين يسعون في تاجيج الصراع بين مختلف الاطراف خدمة لمشروعهم المعروف"(٧٧).

وفي السياق نفسه رؤية وقراءة سماحة السيد (السيستاني) حول الاوضاع في العراق بعد عام (٢٠٠٣) والتهديدات والتحديات التي تواجه هذا البلد المسلم حيث يذهب الباحث الى ان اعظم ما طرحه سماحة السيد (السيستاني) في هذا المجال وفي كل مما يتعلق بالمسألة العراقية بعد عام (٢٠٠٣) ولغاية اليوم، يمكن تلخيصه من خلال الاجابة عن سؤال وجهته لسماحته صحيفة (الواشنطن بوست) مفاده :" ما هو اكبر خطر وتهديد لمستقبل العراق"(٧٨)، حيث اجاب سماحته بما يلي نصه: " خطر طمس هويته الثقافية التي من اهم ركائزها هو الدين الاسلامي الحنيف"(٧٩).

ويؤكد سماحته بشمولية هذا المعنى الهوية الثقافية الوطنية في العراق من خلال الاجابة عن سؤال وجهته لسماحته مجلة (بولندا) الاسبوعية مفاده :" ما هو الخطر الاكبر الآن على بلدكم في حالة وجوده ؟"(٨٠)، حيث اجاب سماحته بما يلي نصه : " خطر محو ثقافته الدينية الوطنية "(٨١)، وبهذا تحول السيد السيستاني (دام ظله) من رمز شيعي الى رمز وطني في الوجدان الشعبي العراقي ، عندما أظهر تساميا فوق الهوية الذاتية بخطابه ومواقفه الى الهوية الوطنية الاكبر(٨٢). إذ اشاعت مرجعية سماحة السيد السيستاني خطاباً معتدلاً بمواصفات معتدلة اسهم وبشكل كبير في التخفيف من حدة الاحتقان الطائفي والعنصري الذي يعاني منه العراق بفعل عوامل داخلية وخارجية خارجة عن ارادته، وبذلك أسهمت مرجعية سماحة السيد السستاني (دام ظله) في

ضبط إيقاع الحياة الاجتماعية والثقافية بين مختلف اطياف المجتمع العراقي وهو الامر الذي له بالغ الأثر في تحقيق متطلبات الاستقرار والعيش المشترك ونبذ التطرف في العراق بعد عام ٢٠٠٣[٨٣].

وان المتابع لحركة المرجعية الدينية في النجف الاشرف ممثلتاً بسماحة السيد السيستاني (دام ظله) والدور الكبير الذي قامت به وذلك منذ سقوط النظام السابق ومآلت اليه الأوضاع بعد ذلك بسيطرة عصابات داعش الإرهابية على مناطق شاسعة من العراق، اذ تم تهديد حاضر ومستقبل العراق ارضاً وشعباً . يلحظ انه ليس هناك دور لمرجعية دينية او مؤسسة دينية او حزب ديني قام بدور مفصلي ومحوري وذلك على مستوى تاريخ العراق الحديث والمعاصر ونال اهتماماً خارجياً وداخلياً مثلما حققته مرجعية النجف الاشرف في الوقت الراهن[٨٤]، اذ عملت المرجعية على المشتركات التي تسهم في تعزيز متطلبات التعايش السلمي بين فئات ومكونات واطياف المجتمع العراقي بشكل عام، والتي تقوم على الاحترام للقيم الدينية والاجتماعية بعيداً عن النعرات الدينية والطائفية بمختلف عناوينها ومسمياتها والابتعاد عن التعصب والعنف الذي يؤدي الى عدم استقرار المجتمع[٨٥].

الخاتمة

تشكل الدراسات والبحوث التي تعنى ببحث موضوع (التقريب بين المذاهب الاسلامية) ، ضرورة تاريخية ملحة ، وذلك على مستوى الساحة الفقهية والفكرية والثقافية والمعرفية بشكل عام ، في هذه المرحلة التاريخية المفصلية من حياة الشعوب الاسلامية ، لما تتضمنه مثل هذه الدراسات من ابعاد ومعطيات ودلالات ونتائج من شأنها رفد الساحة (الفقهية والفكرية) الاسلامية باسهامات علمية (فقهية وفكرية) رصينة ومتخصصة، لها الدور والاثر الواضح والكبير في رفع مستوى وعي الامة ، نحو الاحاطة اللازمة بضرورة واهمية فكرة (التقريب) بين المذاهب الاسلامية ، ودور هذه الفكرة المحورية في خلق حالة معتبرة ومحترمة من التعايش المذهبي بين ابناء المذاهب الاسلامية المختلفة ، وذلك في شتى ارجاء العالم الاسلامي ، وفي بلدنا العزيز العراق بعد ما واجهه من تهديدات وتحديات كبيرة في هذا المجال بعد عام (٢٠٠٣) ، إذ يبرز هنا الدور المحوري والاساسي الكبير الذي تصدى له ونهض به سماحة السيد (علي الحسيني

السيستاني) (دام ظله) في اعادة احياء فكرة (التقريب) من جديد ، وذلك بعد ما تعرضت له هذه الفكرة من افول على مستوى الشعبي العام وعلى المستوى النخبوي الخاص ، إذ ان المرحلة التاريخية الراهنة والتي تعيشها مختلف الشعوب في العالم الاسلامي ، هي بأمس الحاجة لوجود انطلاقة حقيقية قوية على مستوى اعادة احياء فكرة (التقريب بين المذاهب الاسلامية) ، واثر هذه الفكرة في خلق حالة التعايش المذهبي بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة ، وذلك على مستوى العالم الاسلامي بشكل عام ، وعلى مستوى العراق بشكل خاص بعد ما واجهه هذا البلد المسلم من تهديدات وتحديات كبيرة في هذا الجانب ، إذ برزت دعاوى وافكار وممارسات تدعو للتعصب المذهبي والتكفير والتطرف والغاء الآخر .

والتي اريد لها ان تسود وتنتشر في العراق ، بعد عام (٢٠٠٣)، وهنا جاء الدور المحوري والاساسي الكبير لسماحة السيد السيستاني (دام ظله) للتصدي والنهوض بفكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية واثر هذه الفكرة في تحقيق حالة التعايش المذهبي بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة في العراق ، بعد عام (٢٠٠٣) ، وذلك من خلال ما طرحه سماحته من فتاوى وبيانات ورسائل واجابات بهذا الخصوص (التقريب بين المذاهب الاسلامية).

وتأسيسا على ما تقدم فأن الباحث خلص الى الاستنتاجات الاتية : -

١ – ان الساحة (الفقهية والفكرية) ، والثقافية والمعرفية بشكل عام ، هي بأمس الحاجة لوجود دراسات وبحوث متخصصية تتناول موضوع (التقريب ببين المذاهب الاسلامية) .

٢ – تشكل الدراسات والبحوث التي تعنى ببحث موضوع التقريب بين المذاهب الاسلامية ضرورة تاريخية ملحة ، وذلك على المستوى الثقافي والفكري والمعرفي العام، لاسيما بعد فترة الافول الذي تعرضت له هذه الفكرة بعد غياب الدور الكبير الذي قامت به دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة .

٣ – شكل ما طرحه سماحة السيد السيستاني (دام ظله) حول موضوع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، انطلاقة (فقهية وفكرية) حقيقية جديدة ، على مستوى اعادة احياء هذا الموضوع (مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية) .

٤ – يعد سماحة السيد السيستاني (دام ظله)، رائد مدرسة التقريب بين المذاهب الاسلامية في التاريخ المعاصر على مستوى العالم الاسلامي .

٥ – اسهمت الفتاوى والبيانات والرسائل والاجابات التي طرحها سماحة السيد السيستاني (دام ظله) ، حول موضوع التقريب بين المذاهب الاسلامية ، في خلق حالة التعايش المذهبي بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة في العراق ، بعد عام (٢٠٠٣) ، وما تعرض له العراق من مخاطر وتهديدات كبيرة في هذا الجانب .

٦ – ان موضوع التقريب بين المذاهب الاسلامية من الاهمية والشمولية والسعة بمكان ، بحيث يتطلب وجود العديد ممن الدراسات والبحوث المتخصصة في هذا المجال ، لذا فأن الباحث يوصي بضرورة تصدي الباحثين والمهتمين بهذا الشأن لبحث ودراسة هذا الموضوع المحوري والاساسي ، إذ ان الساحة الفقهية والفكرية والثقافية والمعرفية هي بحاجة ماسة لوجود مثل هذه الدراسات والبحوث وبشكل دائم ومستمر .

٧ – ان مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية لايمكن ان ينجح بشكل ناجز وكامل اذا بقى محصورا بين الاوساط النخبوية فقط ، إذ ان من الضرورة بمكان ان يأخذ هذا المشروع تأثيره وبعده وصداه ومداه على المستوى الشعبي العام ، وذلك من خلال اعتماد آليات مدروسة متنوعة ومتعددة في هذا الجانب ، وهنا يبرز دور المؤسسة الدينية والمؤسسات الاكاديمية والمؤسسات الثقافية والمؤسسات المجتمعية المختلفة ، التي تعنى بهذا الموضوع (التقريب بين المذاهب الاسلامية) ، بوضع وصياغة مثل تلك الاليات المدروسة والتي من شأنها ان تجعل فكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية ذات بعد وتأثير وصدى على المستوى الشعبي العام .

هوامش البحث

(١) ال عمران : اية ١٠٥.

(٢) الانعام : اية ١٥٣.

(٣) الأنبياء : اية ٩٢.

(٤) البخاري عن ابن مسعود: صحيح الجامع الصغير (٧٢٥٥)..

(٥) محمد علي اذرشب: مسيرة التقريب، عرض لجوانب من معالم مسيرة التقريب بين المذاهب الاسلامية، ج١، (طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ٢٠١٠م)، ص٥-٦.

(٦) ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري: لسان العرب، ج١، (بيروت: دار الصادر، بلا)، ص٦٦٢.

(٧) سورة سبأ : آية ٥١.

(٨) سورة الشورى: اية ١٧.

(٩) سورة ق : اية ٤١.

(١٠) محمد بنتاجة: نظرية التقريب بين الاديان، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٥)، ص١٣٩.

(١١) مجموعة باحثين: الموسوعة الاسلامية العامة، (القاهرة: المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، ٢٠٠١م)، ص٤٠٨.

(١٢) حسن بن موسى الصفار: التعددية والحرية الفكرية في الاسلام، بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب، ط٤، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ٢٠١٠)، ص٢٣٥.

(١٣) نخبة من الباحثين: الطائفية في العراق، مقاربات في الجذور وسبل الخروج من المآزق، (بغداد: الحضارية للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م)، ص٢٤.

(١٤) محمد عبد الله محمد: معالم التقريب بين المذاهب الاسلامية، ط٧، (القاهرة: دار الهلال، ٢٠٠٥)، ص٢٨.

(١٥) نخبة من العلماء والمفكرين الاسلاميين: استراتيجية التقريب بين المذاهب الاسلامية (مجموعة مقالات المؤتمر الثامن عشر للوحدة الاسلامية)، (ايران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية- المعاونية الثقافية، ٢٠٠٦)، ص٧٦.

(١٦) المصدر نفسه، ص٧٦.

(١٧) المصدر نفسه، ص٧٦.

(١٨) محمد الدسوقي: منهج التقارب بين المذاهب الفقهية من اجل الوحدة الاسلامية، بحث منشور في كتاب على دروب التقريب بين المذاهب الاسلامية وقائع ندوة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية (جامعة قطر)، (بيروت: دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، ١٩٩٤)، ص٣٩.

(١٩) براق زكريا: الدولة والشريعة في الفكر العربي الاسلامي المعاصر، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ٢٠١٣)، ص١٥٠.

(٢٠) محمد علي آذرشب: المصدر السابق، ص٢٢٥.

(٢١) نقلاً عن: مجموعة العروة الوثقى، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩١)، ص١٤٢.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٢٣.

(٢٣) نقلاً عن مجموعة العروة الوثقى، المصدر السابق، ص٣٤.

(٢٤) محمد علي آذرشب: المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٢٥) محمد علي آذرشب، دعوة التقريب بين المذاهب الاسلامية، المصدر السابق، ص١٤.

(٢٦) نخبة من الباحثين: دعوة التقريب بين المذاهب الاسلامية، (بيروت: دار التيار الجديد، ٢٣٠٠٧)، ص٧.

(٢٧) محمد علي آذرشب: ملف التقريب، (طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ١٤٢١ هـ.ق)، ص٥.

(٢٨) نقلاً عن: نخبة من الباحثين/ دعوة التقريب، تاريخ ووثائق، (القاهرة: مطبعة وزارة الاوقاف المصرية، ١٩٩١)، ص١٨.

(٢٩) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٣٠) نقلاً عن: مجموعة باحثين: دعوة التقريب تاريخ ووثائق، المصدر السابق، ص٢٧.

(٣١) محمد علي اذرشب: ملف التقريب، المصدر السابق، ص٩.

(٣٢) محمد علي آذرشب: مسيرة التقريب، المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٣٣) محمد علي آذرشب: مسيرة التقريب، المصدر السابق، ص٢٦٧.

(٣٤) رسول محمد رسول: التجربة الاصلاحية في فكر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، بحث نشور في صحيفة المدى، ثقافتنا للدراسات والبحوث، (بغداد: دار المدى، ٢٠١٠)، ص١٢١-١٤٤.

(٣٥) محمد علي آذرشب: المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٣٦) محمد علي اذرشب: مسيرة التقريب، المصدر السابق، ص٢٩٢.

(٣٧) المصدر نفسه، ص٢٩٦.

(٣٨) نخبة من الباحثين: الطائفية في العراق مقاربات في الجذور وسبل الخروج منها، (بيروت: العارف للمطبوعات، ٢٠٠٨)، ص٢٥-٢٦.

(٣٩) نخبة من الباحثين: دعوة التقريب بين المذاهب الاسلامية، المصدر السابق، ص١٣.

(٤٠) محمد حسين علي الصغير : السيد السيستاني مرجعاً، بحث منشور في كتاب السيد السيستاني (امة في رجل)، (بيروت: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م)، ص١٠٥-١٠٦.

(٤١) عامر الحلو: المرجع الديني الكبير السيد السيستاني والمرجعية الرائدة، بحث منشور في كتاب السيد السيستاني (امة في رجل)، المصدر السابق، ص١٦٣.

(٤٢) جعفر الخليلي: موسوعة النجف الاشرف (المراجع في النجف الاشرف)، ج١٢، (بيروت: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص١٨٤.

(٤٣) محمد حسين علي الصغير: المصدر السابق، ص١٠٦.

(٤٤) نقلاً عن: محمد حسين علي الصغير، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٤٥) المصدر نفسه ، ص١٠٦.

(٤٦) محمد الغروي: منهج السيد السيستاني في التجديد، بحث منشور في كتاب السيد السيستاني (امة في رجل)، المصدر السابق، ص١٤٩.

(٤٧) المصدر نفسه، ص١٥٠.

(٤٨) المصدر نفسه، ص١٥٠.

(٤٩) محمد الغروي: منهج السيد السيستاني في التجديد، المصدر السابق، ص١٤٩-١٥٠.

(٥٠) المصدر نفسه، ص١٥٠.

(٥١) محمد الغروي: منهج السيد السيستاني في التقريب، المصدر السابق، ص١٥٠.

(٥٢) نبيل ياسين، السيستاني والديمقراطية ، بحث منشور في كتاب (امة في رجل)، ص١٧٣.

(٥٣) المصدر نفسه، ص١٧٣.

(٥٤) حسن الصفار: التعايش المذهبي ورؤية السيد السيستاني، بحث منشور في كتاب السيد السيستاني (امة في رجل)، ص١٠٢.

(٥٥) محمد الغروي: المرجعية ومواقفها السياسية، (بيروت: دار المحجة، ٢٠٠٤)، ص٤٢.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٥٧) حسن عز الدين بحر العلوم: مقدمة كتاب الحوار بين التأصيل والتنظير بقلم (ابراهيم بحر العلوم)، (بيروت: العارف للمطبوعات، ٢٠١٤)، ص١٤-١٥.

(٥٨) عباس جعفر محمد الامامي:الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث، (بيروت: دار العلم للنابهين، ٢٠١١)، ص٢٥٧.

(٥٩) حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٧م)، ص١٩٨.

(٦٠) حامد الخفاف، المصدر السابق، ص١٩٨.

(٦١) حسن عز الدين بحر العلوم: التعددية الدينية في الفكر الإسلامي، (بيروت: العارف للمطبوعات، ٢٠١١)، ص٤٥.

(٦٢) حامد الخفاف، المصدر السابق، ص٩٨.

(٦٣) كارولين مرجي صايغ: المرجعية الدينية الموقف الوطني في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ، ترجمة نصر محمد علي ، مراجعة حسن ناظم ، (بيروت: مركز الرافدين للحوار، ٢٠٢٠)، ص١٩٤.

(٦٤) المصدر نفسه، ص٥٣.

(٦٥) المصدر نفسه، ص٥٤.

(٦٦) عبد الله احمد اليوسف: شرعية الاختلاف، دراسة تأصلية للرأي الاخر في الفكر الإسلامي، (بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٦)، ص٢٧.

(٦٧) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٦٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٦٩) حامد الخفاف، المصدر السابق، ص١٧.

(٧٠) حسين علي عبيد: المجتمعات المتعددة، الأقليات واشكالية التعايش (بيروت: دار المنهل اللبناني، ٢٠١٤)، ص٢٠٩-٢١٠.

(٧١) حسن كاظم اسد الخفاجي: الأثر الإصلاحي للمرجعية الدينية في توجيه الخطاب الديني لنبذ التطرف وترسيخ الوحدة، بحث منشور في مجلة المرجعية الدينية واثرها في الإصلاح (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١)، ص١.

(٧٢) سعد عبد الحسني نعمة: المرجعية الدينية وبناء الوحدة الوطنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣.

(٧٣) خديجة حسن علي القصير: دور المرجعية في إرساء التعايش السلمي (العراق مابعد داعش انموذجاً) بحث منشور في مجلة المرجعية واثرها في الإصلاح، ص٢٦٤.

(٧٤) سعد عبد الحسني نعمة، المصدر السابق، ص٥٣-٥٤.

(٧٥) المصدر نفسه، ص٥٤.

(٧٦) عبد علي سفيح: العقد الاجتماعي للمرجعية الدينية الشيعية في النجف الاشرف، بحث منشور في مجلة المرجعية واثرها في الإصلاح (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١)، ص٨٢.

(٧٧) حامد الخفاف: المصدر السابق، ص١٦٦.

(٧٨) حامد الخفاف: المصدر السابق، ص٣١.

(٧٩) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٨٠) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٨١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٨٢) حيدر نزار: سلطة النص الديني، السيد السيستاني انموذجاً، (بيروت: العراف للمطبوعات، ٢٠١٥)، ص١٤٥.

(٨٣) عماد هادي عبد علي: المرجعية الدينية ودورها في دعم الخطاب الديني، بحث منشور في مجلة المرجعية واثرها في الإصلاح، (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١)، ص١١٥.

(٨٤) يونس عباس نعمة: موقف المرجعية الدينية من سقوط مدينة الموصل للمدة (١٤١٠هـ/ ٢٠١٤م) بحث منشور في مجلة المرجعية دورها في الإصلاح، المصدر السابق، ص١٨٩-١٩٠.

(٨٥) اثر الرواسب الثقافية السيئة (العادات والتقاليد) ودور المرجعية الدينية للحد من انتشارها المجتمع العراقي انموذجاً، بحث منشور في مجلة المرجعية ودورها في الإصلاح، المصدر السابق، ص٣٤٥.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. ابي الفضل جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور الافريقي المصري : لسان العرب ، ج١ ، (بيروت : دار الصادر ، بلا) .
٢. براق زكريا : الدولة والشريعة في الفكر العربي الاسلامي المعاصر ، (بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ٢٠١٣) .
٣. جعفر الخليلي: موسوعة النجف الاشرف (المراجع في النجف الاشرف)، القسم الثاني، ج ١٢ ، (بيروت: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع ،١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م).
٤. حامد الخفاف : النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية ، (بيروت : دار المؤرخ العربي ، ٢٠٠٧) .
٥. حسن الصفار : التعايش المذهبي ورؤية السيد السيستاني ، بحث منشور في كتاب السيد السيستاني (امة في رجل) ، (بيروت : مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨) .
٦. حسن بن موسى الصفار : التعددية والحرية الفكرية في الاسلام – بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب - ، ط٤ ، (بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ٢٠١٠) .
٧. حسن عز الدين بحر العلوم: التعددية الدينية في الفكر الإسلامي، (بيروت: العارف للمطبوعات، ٢٠١١).

٨. كارلين مرجي صايغ: المرجعية الدينية الموقف الوطني في العراق بعد عام ٢٠٠٣، ترجمة نصر محمد علي، مراجعة حسن ناظم، (بيروت: مركز الرافدين للحوار، ٢٠٢٠).
٩. عبد الله احمد اليوسف: شرعية الاختلاف، دراسة تأصيلية للرأي الاخر في الفكر الإسلامي، (بيروت: دار الهادي، ٢٠٠١).
١٠. حسين علي عبيد: المجتمعات المتعددة (الأقليات واشكالية التعايش، (بيروت: دار المنهل اللبناني، ٢٠١٤).
١١. حسن كاظم اسد الخفاجي: الأثر الإصلاحي للمرجعية الدينية في توجيه الخاطب الديني لنبذ التطرف وترسيخ الوحدة، بحث منشور في مجلة المرجعية الدينية واثرها في الإصلاح، (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١).
١٢. سعد عبد الحسين نعمة: المرجعية الدينية وبناء الوحدة الوطنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ دراسة في مواقف وفتوى سماحة السيد السيستاني، بحث منشور في مجلة المرجعية الدينية واثرها في الإصلاح (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١).
١٣. خديجة حسن علي القصير: دور المرجعية في إرساء التعايش السلمي العراق مابعد داعش انموذجاً، بحث منشور في مجلة المرجعية الدينية واثرها في الإصلاح، (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١).
١٤. عبد علي سفيح: العقد الاجتماعي للمرجعية الدينية الشيعية في النجف الاشرف، بحث منشور في مجلة المرجعية الدينية واثرها في الإصلاح، (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١).
١٥. عماد هادي عبد علي: المرجعيةالدينية ودورها في دعم الخطاب الديني، بحث منشور في مجلة المرجعية الدينية واثرها في الإصلاح، (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١).
١٦. يونس عباس نعمة: موقف المرجعية الدينية من سقوط مدينة الموصل للمدة (١٤١٠هـ/٢٠١٤م) بحث منشور في مجلة المرجعية الدينية واثرها في الإصلاح، (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١).
١٧. فاضل عبد العباس محمد: أثر الرواسب الثقافية السيئة العادات والتقاليد ودور المرجعية الدينية للحد من انتشارها المجتمع العراقي انموذجاً بحث منشور في مجلة

المرجعية الدينية واثرها في الإصلاح، (النجف الاشرف: مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢١).
١٨. حسن عز الدين بحر العلوم : الحوار بين التأصيل والتنظير – المقدمة – بقلم (ابراهيم بحر العلوم) ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠١٤) .
١٩. حيدر نزار : سلطة النص الديني – السيد السيستاني انموذجا - ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠١٥) .
٢٠. رسول محمد رسول : التجربة الاصلاحية في فكر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، بحث منشور في صحيفة المدى ، ثقافتنا للدراسات والبحوث ، (بغداد: دار المدى ، ٢٠١٠) .
٢١. عامر الحلو : المرجع الديني الكبير السيد السيستاني والمرجعية الرائدة ، بحث منشور في كتاب السيد السيستاني (امة في رجل) ، (بيروت : مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨) .
٢٢. عباس جعفر محمد الامامي : الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث ، (بيروت : دار العلم للنابهين ، ٢٠١١) .
٢٣. مجموعة باحثين : الموسوعة الاسلامية العامة ، (القاهرة : المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ٢٠٠١) .
٢٤. محمد البهي : مجموعة العروة الوثقى ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٩١) .
٢٥. محمد الدسوقي : منهج التقارب بين المذاهب الفقهية من اجل الوحدة الاسلامية – بحث منشور في كتاب على دروب التقريب بين المذاهب الاسلامية – وقائع ندوة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية (جامعة قطر) ، (بيروت : دار التقريب بين المذاهب الاسلامية ، ١٩٩٤) .
٢٦. محمد الغروي : المرجعية ومواقفها السياسية ، (بيروت : دار المحجة ، ٢٠٠٤) .
٢٧. محمد الغروي : منهج السيد السيستاني في التجديد ، بحث منشور في كتاب السيد السيستاني (امة في رجل) ، (بيروت : مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨) .
٢٨. محمد بنتاجة : نظرية التقريب بين الاديان ، (الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ٢٠١٥) .

٢٩. محمد حسين علي الصغير : السيد السيستاني مرجعا ، بحث منشور في كتاب السيد السيستاني (امة في رجل) ، (بيروت : مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨) .
٣٠. محمد عبد الله محمد : معالم التقريب بين المذاهب الاسلامية ، ط٧ ، (القاهرة : دار الهلال ، ٢٠٠٥) .
٣١. محمد علي أذرشب : مسيرة التقريب – عرض لجوانب من معالم مسيرة التقريب بين المذاهب ، ج١ ، (طهران ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، ٢٠١٠).
٣٢. محمد علي آذرشب : ملف التقريب ، (طهران : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، ١٤٢١ هـ ق) .
٣٣.نبيل ياسين : السيستاني والديمقراطية ، بحث منشور في كتاب السيد السيستاني (امة في رجل) ، (بيروت : مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨) .
٣٤. نخبة من الباحثين : الطائفية في العراق – مقاربات في الجذور وسبل الخروج من المأزق – ، (بغداد : الحضارية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٨).
٣٥. نخبة من الباحثين : الطائفية في العراق مقاربات في الجذور وسبل الخروج منها ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٨) .
٣٦. نخبة من الباحثين : دعوة التقريب تاريخ ووثائق ، (القاهرة : مطبعة وزارة الاوقاف المصرية ، ١٩٩١) .
٣٧.نخبة من الباحثين : دعوة التقريب بين المذاهب الاسلامية ، (بيروت : دار التيار الجديد ، ٢٠٠٧) .
٣٨.نخبة من العلماء والمفكرين الاسلاميين : استراتيجة التقريب ببين المذاهب الاسلامية ، (مجموعة مقالات المؤتمر الثامن عشر للوحدة الاسلامية) ، (ايران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية – المعاونية الثقافية - ، ٢٠٠٦) .